

## ٢- محمد بك المويلحي

للاستاذ عبد العزيز البشري

لست أغلو إذا زعمت أنني في مطلع نشأت الأدبية كان « مصباح الشرق » عندي هو المثل الأعلى للبيان العربي . وبهذا كنت شديد الأكتاب على قراءه ، وتقليب الذهن واللسان في روائع صيغه وطرائف عباراته . حتى لقد كنت أشعر أنني أترشّفها ترشّفاً لتدور في أعراقي وتخالط دمي ، وتطبع ملكتي على هذا اللون من البيان الجزل السهل الناقد الطريف . ولكن ( ما كل ما يتمنى المرء يدركه ) !

ولقد كنت فتى مولماً بالصناعة ، شأن أكثر فائدة للتأديين في ذلك العهد . فلما أرسل محمد المويلحي في المصباح ( أحاديث عيسى بن هشام ) زادني وزاد لِدائي به فتونا كيف نتمثل في محمد المويلحي ؟ :

لم تكن عيني إلى هذا العهد قد وقفت قط على محمد المويلحي ، ولا خياراً للمرء في تمثيل صورة من لم ير من الأمامي ، وما لم يشهد من البقاع . فكانت الصورة التي جلاها على الخيال لهذا الرجل ، صورة شاب معتدل القد ، وضيق الطلعة ، وسم الوجه قسيمة . وما كان ذلك البيان الجوهري ليجلو على من الرجل غير ذلك . على أنني كنت أرى أباه إبراهيم بك الحين بعد الحين في زيارته لوالدنا ، عليهما رحمة الله ، وفي زيارات والدنا له ( بمارة البايلى ) يوم كنت أحجبه . وكان هذا المويلحي تحفة من تحف العصر التي قل أن يجود بمثلهما الزمان : قوة لسن ، واشتغال ذهن ، وحضور بديهية ، وسطوة نكتة ، وسعة علم بالزمان وأحوال الناس . أما سرعته وتوفيقه في إيراد الشاهد من عبر التاريخ ، ومأثور الآداب من مشور الكلام ومنظومه ، فهذا ما لم يتعلق ببقائه فيه أحد . فكان مجلسه متاعاً من أعظم المتاع على أنني لم أوفق إلى رؤية المويلحي إلا مرة واحدة !

وتتابعت السنون ، وخلص تحرير « المصباح » إلى محمد . ثم امتحنه القدر بمحادثة اعتداء يسير عليه من بعض الطيئش من أبناء ( النوات ) في إحدى القهوات . وانتهى الخبير إلى الرجوع

امرأة هذه المدينة هي امرأة العاطفة ؛ تتعلق باللفظ حين تدلّسُه المائلة من زينتها ، وإن ضاع فيه المعنى الكبير من معاني العقل ، وإن فانت به النعمة الكبيرة من نعم الحياة

تقوى العساطفة فتجىء بها إلى رجل ، ثم تقوى الثانية فتذهبُ بها مع رجل آخر ... ! وتُقيّد نفسها إن شاءت ، وتُسرّح نفسها إن شاءت ؛ وما يُد من أن تبسّو الحياة كما يبلوها الرجل ، وأن تخوض في مشاكلها ؛ وإذا شاءت جعلت نفسها إحدى مشاكلها ... ! ولا مندوحة من أن تتولى شأن نفسها بنفسها ، فإذا خاست أو غدرت فكل ذلك عندها من أحكام نفسها ، وكل ذلك رأي وحق ، إذ كان محورُها الذي تدور عليه هو عاطفتها وحرية هذه العاطفة ، فمن هذا يُقرّر لها خطتها ، وعلى عليها واجباتها ، ويُزوّر لها الأسماء على إرادته دون إزادتها ، فيسمى لها نكدها قلبها باسم فضيلة المرأة ، وحرمان عاطفتها باسم واجب الزوجة الشريفة ؟

ومنذا أخوّله الحق أن يقرّر وأن يُعلى ؟ وهذا الشرقُ المتيقّ المأفونُ الذي قيلَها سافرة لا تعرف روحها ولا جسمها الحجاب ؛ ما باله يُريد أن يضرب الحجاب على عاطفتها ، ويتركها محبوسة في شرّقه وحقوقه وواجباته ، وإن لم تكن محبوبة في الدار ؟

ما علمتُ يا إخواني إلا من بعد ، أن الزوجة الغربية قد تكون مع زوجها الشرق كالسائمة مع دليلها . هيئات هيئات ، إنه لن يُمكنكها عليه ، ولن يُكرّرها على الوفاء له ، إلا أن تكون حشالة يزهد فيها حتى دُباب الناس ؛ فيأسيها هو يجعل هذا السكين مطعمها ، وهي مع ذلك لو خلطتته بنفسها لقيت منها ناحية لا تختلط ، إذ ترى أمته دون أمتها ، وجنسه دون جنسها ؛ فما تُسب أمة زوجها وبلاده بأقبح من هذا !

أما والله إن الرجل ( الشرق ) حين يأتي بالأجنبية لتلوين حياته بألوان الأنثى ... لا يكون اختار أزهى الألوان إلا لتلوين مصائب حياته ! وقد يكون هناك ما يشدّ ، ولكن هذه هي القاعدة

\*\*\*

أما قصتي يا إخواني ... ..

قال الدكتور محمد : قد حكيتها « برحمتك الله »

طنطا

محمد المويلحي

ظاهرها أكثر من منظر (حوش) في قرافة الأمام ، فإذا جرت مداخلة انفرجت للعين سديقة واسعة قد عُدَّت طرقها تمديدًا ، ونضدت أشجارها تنضيدًا ، وتأثقت يد البستاني في تسويتها وتنسيقها ، كما تأثقت يد الطبيعة في تشجيرها وتزيينها : فهذا الفلّ الوضيّ الآلق ، وهذا الورد المشرق الضاحك ، وهذا الترجس تنبعث من عيونه الأسحار ، وهذا الياسمين لقد استحال تنفساً في ساع الأسحار .

ولقد أفرد زاوية من زوايا الحديقة للغزلان والطواويس وجماعات الطير من كل غرير صدّاح

ويستقبلي ، رحمة الله عليه ، بالبشر والتأهيل والترحيب ، وإذا نى لزاء رجل حنطى اللون ، بين الطويل والقصير ، والسمين والمزبل ؟ مستطيل الوجه ، عريض الجبهة ، حاذئ العينين ، مستوى الأنف ، له فم قريب إلى القوة في غير قبح ولا استكراه . إذا تمثل واقفاً لمحت في ساقيه تقوساً خفيفاً لعله دخل عليه من أنه عالج المشي قبل أن تصائب عظامه . وله إذا تحدث صوت لا أقول خشن بل أقول سَجَزَل . فإذا أقبل على القراءة زرع عينه اليسرى فبان التكرش الشديد في مقعد ما بين أعلى العارض وأسفل الجبين ، وهذا التكرش لاشك كان من أثر السنين ، وإن كان يخفيها في المويجى شدة عنايته بصحته ، وتكلفه ألواناً من علاج البدن بمأثور الوصفات ، والثرام الحية في كثير من الأوقات ، وأخذ النفس بالراحة التامة ما تستثيره أزمة من الأزمات ، ولا يستدرجه مجلس لهو ولا تقتنصه داعية لذة من اللذات ؛ وبهذا تمهياً له أن يحيا في مثل نضرة الشباب إلى المات

وقد تلقاني في غرفة الاستقبال ، وهي غرفة أنيقة حقاً — لقد أثنت بأغفر الأثاث وأغفله ، وأغفر من كل شيء فيها الأنافة في تصفيف الفراش والذوق التام . وقد زينت أجسُها بصور كبيرة ولآليه ، وللأميرة نازلي فاضل ، وللسيد جمال الدين الأفغانى . وبلوحات خطية جميلة جرت بروائع الحكم ، وأكثرها من شعر المعرى

وخضنا في أحاديث من أحاديث الأدب ، ولونا الكلام تلويحاً حتى تجاوزنا نصف الليل ، وتفاقرنا وكأن حبل المودة بيننا ممدود من عشرين سنة . وتواعدنا اللقاء ما تهيأ لنا . وكذلك استمكن

الشيخ على يوسف ، وكان في صدره موجدة شديدة على محمد وعلى أبيه لما كان بينه وبينهما من كيد وصراع ، فأنهر الفرسه ، وروى الحادثة في صورة مبهولة ، واستدرج الكتاب والشعراء للقول فيها ، وفسح لهذا في المزيد مكاناً عريضاً . ومن ذا الذي لم يكن موقوراً من المويجى ؟ ومن ذا الذي لم يقدر الورث منه في مستقبل الأيام ؟ وإذا كان الرجل عاجزاً عن أن يخرج للمويجى وحده ، فهذه جموع الأدباء والشعراء والعلماء أيضاً قد نذاكت لقتاله بكل ما في أيديها من سلاح ! ألا فليقتدّم لطمع المويجى من شاء أن يتقدّم ، فليس على أحده في قتاله اليوم من بأس ! وتثور العاصفة : ويشد البأس ، ونحمر الخدق ، وأذن النفير العام ، فوثب القاعد ، وتحرك الساكن ، وانبعث الجاثم ، وهب النائم . وأهاب القمّديون بالتخاف ، واستحمسوا للتخاذل . وشد الجميع على قلب رجل واحد . وهل كان من المستطاع أن يصمد لهذا الجيش اللجب رجل واحد ؟ . لم يستطع المويجى أن يثبت في الميدان ، فأطفا « المصباح » وانسل إلى داره وقد ألقى يد السلام ، واحتجب ولكن في انتظار الثأر ورى الثمة بالانتقام !

ولقد تم للمويجى من هذا بعض ما أراد أو كل ما أراد . فلقد كان ممن أناروا النائرة على الشيخ على يوسف أيام حادث الزوجية الشهور ، وفتح له في جريدة (الظاهر) باباً مثل ذلك الباب ، واستدرج له أقلام الشعراء والكتاب . وواحدة لواحدة كفاء

من رأيت المويجى ، وكيف انصت به ؟ :

بين سنتي ١٩٠٧ ، ٩٠٨ ، لا أذكر على التحديد ، سألت صديقاً حديث العهد بصداقتي ، ولكن وده للمويجى قديم — سأله وتمنيت عليه أن يجمع بيني وبينه ، وما كان أبلغ دهشى واعتباطي حين قال لي : إن المويجى قد طالعه أنه يحب أن يراني ، ولعله عرف بي من أيام كنت أرسل القول في الشيخ في فتنة الزوجية شعراً ونثراً . ( واسأل الله أن يغفر لي هذا ) . وتواعدنا أن نذهب إليه في الأصيل

وكان ، رحمه الله ، قد اتخذ مسكنه داراً من دور سعيد باشا نصر ، تقع في أطراف العباسية يومئذ . وهذه الدار لا يعطى العين

ثم جعل يتعلم على أبيه ، ويكسب على قراءة الكتب في العلوم والآداب ، ثم اتصل بأئمة العلماء وأقطاب أصحاب الأدب من أمثال السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ حسين المرصني ، ومحمود باشا ساي البارودي ، وغيرهم من أعلام عصره فحقق العربية وبرع فيها ، وجود البيان أياً تجويد ، وهياً له جده واضطرابه في أسفاره بين الشرق والغرب تجويد اللغات الفرنسية ، والتركية ، والاطالية ، كما أصاب حظاً من الإنجليزية واللاتينية . وكان كثير القراءة الى غاية المات ، فلا تكاد تقنم عليه إلا رأته يعالج بالتنسيق حديقته ، أو يقرأ في كتاب عربي أو في كتاب يجري في إحدى هذه اللغات

ولقد سأله ذات يوم عن أحسن الفرص التي هيأت له أعظم حظ من العلم فقال : كنت في الآستانة في ضيافة رجل فاضل يدعى سليمان أفندي ، وكان عنده مكتبة تمد من أنحر المكاتب الأهلية ، فلبست ثيابي ذات عشية تأهباً للخروج كعادتي لأشهر في بعض ملاهي المدينة ، وتفتقدت كيسي فاذا هو سفر من الدرهم والدنار ، فنضوت ثيابي ثانية وقلت باسم الله ، ولبت عاكفاً على قراءة الكتب لا أبرح هذه المكتبة إلا للنوم أو لغيره من حاجات الحياة . وظللت على هذه الحال ستة أشهر وبعض الشهر حتى أذن الله بالفرج ، وجاءني من المال ما هيأ لي استئناف الحياة مع الناس

ومن يعرف صبر المويلحي ، وشدة حمله على نفسه ، لا يستطيع أن ينكر منه هذا المقال ، وسألم إن شاء الله بهذه الخلة العجيبة فيه عند الكلام في عاداته وأخلاقه . وحسبي هذا الآن فقد أطلت الحديث ، وإلى اللقي القريب ما

عبد العزيز البشري

الألف واستوتقت جبال الود ، فما تتفارق إلا على موعد من لقاء قريب . ولقد أعيش معه اليومين والثلاثة تقرأ عامة نهارنا وصدرنا من ليلنا كتباً ، أو نتذاكر أدباً

وكان ممن يختلفون الى داره مغرب الشمس عادةً بعض أقطاب العلم وأصحاب الرأي والبيان والبداهة المواتية ، وأذكر منهم المرحومين عمه السيد عبد السلام باشا المويلحي ( سر تجار مصر ) ، والسيد محمد توفيق البكري ، والشيخ علي كيوسف ، بعد إذ تصافت القلوب مما كان على بها من الأضغان ، والسيد محمد البالي ، ومحمد بك رشاد ، وحافظ بك إبراهيم ، وعبد الرحيم بك احمد ، وحافظ بك عوض ، والسيد عبد الحميد البنان . أحيائها الله أطيب الحياة . وخذ ماشئت في أثناء هذه المجالس من أدب رائع ، ومن نادرة طريفة ، ومن حاضر نكتة قل أن نسخو بمثلها الأذهان

ولقد كنا نقضي معاً عامة الصيف في مدينة الاسكندرية . ولعل من أسعد هذه الأصناف ذلك الذي قضيناه معاً في فندق في ضاحية المكس خالصين للرياضة ومراجعة الكتب في مختلف الآداب ، لا نتحدر الى صلب المدينة إلا لقضاء سهرة موزقة مع آثر الصحاب . كما عشنا معاً في شتاء سنة ٩١١ ، ٩١٢ بضمة أشهر في دار استأجرناها في حلوان

وفي سنة ١٩١٠ قلده في ديوان ( عموم ) الأوقاف منصب رئيس قسم الاذادة والسكرتارية ، وفي يناير من سنة ١٩١١ عينت في ( قلم السكرتارية ) . وللمويلحي في هذا التعمين سبي غير منكور . وبهكذا أصبح لي رئيساً ، كما كان لي أستاذاً وصديقاً

ولقد ظل الود بيننا موصولاً حتى قبض إلى رحمة الله

نفاة ودراسة

هو السيد محمد المويلحي بن ابراهيم بك بن السيد عبد الخالق المويلحي . أصلهم من برفا المويلح ببلاد العرب ، هبط جدودهم مصر من زمن غير قصير ، وكانوا يتجرون في صناعة الحرير ، وهم أهل نعمة وثرأ . ولقد أتلأ أبوه ابراهيم كل ما كان في يده من الأموال فلم ينزلق عنه لبنه إلا رطاف من الاستحقاق في بعض الأوقاف . وما أحسب محمداً تجاوز في الدراسة المنظمة التعليم الابتدائي .

## آلام فرتر

الشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

ترجمها الأستاذ احمد حسن الزيات

نمها ١٥ قرشاً